رِسالة مهمة لشباب الأُمة

للشيخ / ندا أبو أحمد

(رسالة مهمة لشبابِ الأمة)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مُضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إذا أردت أن تتعرف على قوة أو ضعف دولة، فانظر إلى شبابها، فإذا رأيته شباباً مُتديِّناً، ذا أخلاق سامية، وقيم متنامية، وثقافة عالية، منشغلاً بمعالي الأمور، فاعلم أنها أمة قوية البناء، عظيمة الشأن رفيعة القدر، لا يطمع فيها قوى، ولا ينال منها عدو.

وإذا رأيت شباب الأمة غير مُتديِّنٍ، سيئ الخلق وعديم القيم، منشغلاً بسفاسف الأمور، فاعلم أنها أمة ضعيفة، مفككة الأوصال، سرعان ما تنهار، وتصبح كلأ مباحاً لأعداء الإسلام.

فالشباب الطموح الواعي المُتديِّن في كل أمة هم قلبها النابض، ودمها المتدفق، وعصب حياتها، وسر نهضتها، وعنوان تقدُّمها وأمل مستقبلها؛ ولذلك اهتم الإسلام بالشباب اهتماماً كبيراً.

- **فصلاح الأمة بصلاح شبابها**

فإذا استقام الشباب صلحت الأمة وسادت وقادت، وإذا فسد الشباب فسدت الأمة وضاعت.

أحبتي في الله... أيها الشباب...

عندما ينام الإنسان منَّا فإنه يبتدره شيطان ومَلَكٌ، ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ عن جَابِرٍ*** ﷺ ***أَنّ رَسُولَ اللَّهِ*** ﷺ ***قَالَ:*** "**إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ ثُمَّ نَامَ؛ بَاتَ الْمَلَكُ يَكْلَؤُهُ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ، قَالَ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ...**" الحديث

وهذا الحديث يذكرنا بحال شباب اليوم، فإنه يتصارع عليهم أهل الحق وأهل الباطل من الداخل والخارج، فأهل الباطل دعاة على أبواب جهنم، مَن أجابهم قذفوه فيها، وأهل الحق يهتفون بالشاب قائلين: "إلى الهدى ائتنا".

فأهل الحق يحاولون جاهدين أن يأخذوا بأيدي الشباب إلى الحق، وينيروا الطريق للتائهين، ويأخذوا بأيدي الحائرين، ويوقظوا النائمين، وينبهوا الغافلين، ويُعلِّموا الجاهلين، ويُحذِّروا العاصين من غضب رب العالمين، ويشدُّوا على أيدي الطائعين ويثبِّتوهم على الإيمان بمشيئة الرحمن

ونسأل الله أن نكون من أهل الحق، كما نسأله القبول في القول والعمل والسر والعلن... آمين

ويبقى السؤال... لماذا الحديث عن الشباب؟

والحديث عن الشباب لأمور منها:

١- ليعلم الشباب ماذا يراد بهم.

إن شباب الإسلام يتعرَّضُون لمؤامرة كبيرة من قِبَل أعداء الإسلام، وهذه المؤامرة متعددة الوجوه والأشكال والأساليب، فالأعداء يعلمون جيداً أن الشباب هم قوام الأمة، ومصدر قوتها، وسر نهضتها، وصُنَّاع مجدها، ومبعث عزِّها وكرامتها، وهم قادة الغد، وأمل المستقبل، وعلى أكتافهم تقام حضارات وترفع أمجاد، وهم يعلمون يقيناً أن الشباب هم العمود الفقري للأمة، بصلاحهم تتصلح الأمة وتسود وتقود، وبفسادهم تفسد الأمة وتضيع.

فالشاب المستقيم لبنة صالحة في بناء المجتمع، والشاب الفاسد معول هدم ينخر في جسد الأمة، فأعداء الإسلام على يقين بهذا، فهم يُقدِّرون أهمية الشباب ودوره في بناء الأمة، ويُخطِّطُون لإفساد الشباب وتبديد هذه الطاقات وتعطيلها، وذلك عن طريق إفساد عقول الشباب بالمخدرات المُفسِدة، والأفكار المُنحرفة، والمذاهب الباطلة، والدعوات المضللة، والأفلام الهابطة، والمسلسلات الساقطة، والمجلات الفاجرة، والأغاني الماجنة، والروايات الفاضحة، وتشويه الرموز، وتحطيم المُثُل العليا، والغرض من هذا كله أن ينحرف الشباب عن الهدى إلى الضلال.

إنها مؤامرةٌ تدور على الشباب ليُعرِض عن المحراب، مؤامرةٌ تقول لهم: "تعالوا إلى الشهوات في ظل الشراب"، مؤامرة دنيئة مقصدها تدمير الشباب، ونشر الخراب.

وقد نجح أعداء الإسلام فيما خطَّطُوا له: من سلْب عقول الشباب المسلم، وطمس هويته، وقطع الصلة بينه وبين الجيل الفريد، وهذا أمر نراه رأي العين لا يحتاج إلى بيان، فالناظر إلى أحوال الشباب اليوم يصاب بالدهشة وخيبة الأمل، يجد أمامه شباباً ممسوخ الهوية، منكوس الفطرة، ليس له هدف، همّه الأول إشباع رغباته وشهواته، ويسعى لتضييع الأوقات على الشات، والتَّحدُّث مع الفتيات عن طريق وسائل الاتصالات، ومشاهدة المباريات، وشرب المُخدرات، شباب لا يتَّبِع إلا هواه، شباب بَعُد عن مولاه، شباب تربَّى على الميوعة والخلاعة، لا يهتم إلا بمظهره من التَّزيُّن والتَّعطُّر، وأفرطوا في ذلك حتى تشَبَّهُوا بالنساء، فلبسوا الملابس الضيقة والرقيقة والتي هي أقرب للأنوثة من الرجولة.

فلا عجبَ أن النِّساء تَرَجَّلت ولكن تأنيث الرجال عُجَاب

فشباب اليوم ليس له هدف واضح في الحياة، وإذا ضاع الهدف فلاترى إلا شبابا يترنَّح لا يدري أين الطريق، شباب يعيش لشهواته، وأصبح حب فتاة أسمى غاياته، وسماع أغنية أو الفوز ببطولة أقصى طموحاته .

فهؤلاء الشباب غاب عنهم الأهداف والغايات، فلا يدركون ما يريدون، وقد أسلموا زمام أمرهم لعدوِّهم ليُحدِّد لهم مصيرهم، فسعى هذا العدو لمسخ الهوية الإسلامية وتخدير هؤلاء الشباب ، والعمل على إفساد دينهم والذي هو عصمة لأمرهم، ونجاة لهم في معاشهم ومعادهم.

فعلى الشباب أن يدركوا المُخطَّط الذي يدبر لهم، الخطر المحدق ببلادهم،.

ونحن على يقين أن الشباب بما يتصف به من روح الإقدام والإقبال، وصفاء الذهن والعقل، ووفرة الطاقة والقوة تجعله هو الأقدر على قيادة الأمة وبنائها، والعمل على صناعة حضارتها.

فلهذا ولغيره يبذل أهلُ الحق والعلماء الربانيون قصارى جهدهم لإحياء الإيمان في نفوس الشباب، وصرفهم عمَّا يضر دينهم ودنياهم، وصرف طاقتهم فيما يعود عليهم بالنفع وعلى أمتهم.

والله أسأل أن يحفظ شبابنا وأُمَّتنا من كل سوء، وأن يأخذ بأيديهم لما يُحبّه ويرضاه.

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٢- لأن الشباب هم الدرع الذي يقي الأمة من سهام الأعداء، وهم الصخرة التي تنكسر عليها أطماع وأحلام الأعداء.

إن الذين حملوا لواء هذا الدين، وقادوا الجيوش، وفتحوا الأمصار، وجابوا مشارق الأرض ومغاربها، كانوا من الشباب المحب لدينه، الساعي لرفع رايته، وإعلاء كلمته.

ولقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في مجال التضحية والتسابق إلى ساحات الجهاد، ولم يبلغوا بعد سن العشرين.

- ***فهاهو النبي*** ﷺ يرد عبد الله بن عمر ﷺ في غزوة أحد، وأجازه في غزوة الخندق، وقد بلغ الخامسة عشر من عمره.

وفعل النبي ﷺ ذلك أيضاً مع أسامة بن زيد ﷺ، والبراء بن عازب ﷺ.

- ***أما زيد بن ثابت*** ﷺ فقد كان عمره عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة إحدى عشرة سنة (١١ سنة) كما ثبت ذلك في "معجم الطبراني الكبير" بسند حسن.

وأراد أن يشهد غزوة بدر وسنه ثلاث عشرة سنة (١٣سنة) فاستصغره النبي ﷺ وردَّه، وأراد أن يشهد غزوة أُحُد، وكان عمره أربع عشرة سنة (١٤ سنة) وردَّه النبي ﷺ أيضاً، وأول مشاهده الخندق، وكان عمره خمس عشرة سنة (١٥ سنة).

فالطموح والجد في شباب الإسلام لا ينتهيان

- ***وهاهو عُمير بن أبي وقاص*** ﷺ أخو سعد بن أبي وقاص - أراد أن يشهد غزوة بدر، وكان عمره أربع عشرة سنة (١٤ سنة)، وقيل: "ستة عشر سنة (١٦ سنة)

وردَّه النبي ﷺ واستصغره، فذهب يبكي فَرَقَّ له النبي ﷺ فأجازه

يقول سعد: "كنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ﷺ"، وقتل ببدر، قتله "**عمرو بن عبد وُد**" أحد صناديد قريش. **(سير أعلام النبلاء)**

- وردَّ النبي ﷺ رافع بن خديج، وسمرة بن جندب واستصغرهما

ولما كانت غزوة أُحُد ردَّهما النبي ﷺ، وهما ابنا خمس عشرة سنة (١٥ سنة)، فقيل: "يا رسول الله، إن رافعاً رامٍ، فأجازه النبي ﷺ، فجاء سمرة إلى النبي ﷺ وقال: "يا رسول الله، أجزت رافعاً ولم تجزني، ولو صرعتُ رافعاً لصرعته، فأجازه النبي ﷺ. وفي هذه الغزوة أصاب رافعاً سهمٌ في صدره – في ثِنْدوته – فجاء إلى النبي ﷺ، **فقال له النبي ﷺ: "إن شئت نزعتُ السهم والقُطْبة[1]، وإن شئتَ نزعتُ السهم وتركت القطبة داخل جسمك، وأشهد لك يوم القيامة إنك شهيد، فقال – مقال الذي يتطلع للجَنَّة:-** "يا رسول الله انزع السهم واترك القطبة في جسدي"

فبقيت القطبة في جسده حتى التئم الجرح عليها، وانفتق عليها في زمن معاوية، فمات ﷺ شهيداً بشهادة النبي ﷺ.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

- وعندما نتكلم عن الشباب ورفع راية الجهاد لا ننسى أن نتكلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

فقد كان علي بن أبي طالب ﷺ بطلاً مغواراً، وكان اللواء بيده في كثير من المشاهد والغزوات، ودفع الرسول ﷺ الراية يوم بدر، وهو ابن عشرين سنة، وكان حامل الراية يوم خيبر.

وفي غزوة بدر بارز علي ﷺ شيبة بن ربيعة وقتله، ممَّا رفع الروح المعنوية للمسلمين.

وفي غزوة الخندق بارز عمرو بن عبد ود فارس قريش وقتله.

فماذا عن شباب اليوم!؟

- وها هو سعد بن أبي وقاص ﷺ أول مَن رمى بسهم في الإسلام، وكان عمره سبع عشرة سنة (١٧ سنة) ورسول الله ﷺ يقول له: "ارمِ، فداك أبي وأمي" .

(١) القُطْبة: نصل الرمح.

- ***وآخر بَعْث أرسله النبي ﷺ كان بعث أسامة بن زيد*** ﷺ وكان شاباً في السابعة عشر من عمره وقيل: "ثمانية عشر عاماً".

أرسله النبي ﷺ على رأس جيش فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، ***وعندما تكلَّم الناس في إمرته قال النبي ﷺ:*** **"لئن تكلموا في إمرته، لقد تكلَّموا في إمرة أبيه من قبل، وأشهدهم على حُبِّه له"**.

- ***وأول عمل ابتدأ به أبو بكر*** ﷺ ***خلافته هو إنفاذ جيش أسامة،*** فسيَّره إلى البلقاء ومؤتة وقاتل الروم وانتصر عليهم، وقتل وأسر منهم الكثير، ولم يصب أحدٌ من جيشه بأذى، وكانوا يقولون: **"ما رأينا جيشاً أسلم من جيش أسامة"**

- ***وكان أحد الشعراء يقول:***

قاد الجيوش لبضع عشر حجة يا قرب ذلك سؤددا من مولد

- ***وكان النبي ﷺ يقول يوم بدر:*** **"مَن فعل كذا وكذا، وأتى مكان كذا وكذا؛ فله كذا وكذا، فتسارع إليه الشبان وثبت الشيوخ عند الرايات"** (رواه النسائي والبيهقي من حديث ابن عباس ﷺ)،

- ***وكان النبي ﷺ يقول:*** **"نصرني الشباب وخذلني الشيوخ"**

- ***ولذلك لم يحقِّر النبي ﷺ من شأن الشباب يوم أُحد،*** فقد نزل على رأيهم فقاتل خارج المدينة، ولقد ربَّى النبي ﷺ أصحابه على الاهتمام بالشباب وأخذ رأيهم.

يقول ابن شهاب الزهري ﷺ ***مُحدِّثاً الشباب:*** ***"لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر ابن الخطاب*** ﷺ ***كان إذا نزل به الأمر المعضل؛ دعا الفتيان واستشارهم يبتغي حدة عقولهم"*** .

- ولا ننسى أن نتكلَّم عن معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء (ابن الحارث)، فقد كانت نهاية أبي جهل - فرعون هذه الأمة - على يد هذين الغلامين، ففي "صحيح البخاري" عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: **"إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفتُ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: "يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أُخبرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منَّا، فتعجبت لذلك، وغمزني الآخر[1] فقال لي مثلها - فما سرني أني بين رجلين مكانهما فلم أنشب[2] أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه - فشدّا عليه مثل الصقرين - فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفكما؟ فقالا: لا، فنظر رسول الله ﷺ إلى سيفيهما، فقال: كلاكما قتله".**

وقضى رسول الله بسلبة لمعاذ بن عمرو بن الجموح؛ وذلك لأن معوذ بن عفراء قتل شهيداً في المعركة.

- فانظر رعاك الله لهذين الشابين عندما غارا على سُبّ النبي ﷺ، وأنا أسأل الشاب اليوم، هل وجدت دمعة في عينيك أو غصة في حلقك، أو حرقة في قلبك عندما سب النبي ﷺ في هذا الزمان من قِبل أعداء الإسلام؟ أم إنك تضحك ملء فيك، وتنام ملء عينيك؟ والله لا عذر لنا عند الله غداً إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفينا عين تطرف.

فقد أخرج الحاكم والبيهقي عن زيد بن ثابت ﷺ قال:

"بعثني النبي ﷺ يوم أُحُد أطلب سعدَ بن الربيع ، فقال لي: إن رأيته، فأَقْرِأه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟ فطفتُ بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة، فأخبرته، فقال: على رسول الله السلام وعليك، قل له: يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف، قال: وفاضت نفسه ﷺ "

---

(١) غمزني: قرصني

(٢) أنشب: ألبث

وعندما نتكلم عن الجهاد ودور الشباب في رفع راية الإسلام

- ***لا ننسى أن نتكلم عن القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي*** وهو أشهر الفاتحين في زمن بني أمية، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة، وفتح السند (باكستان) والهند، ووصلت فتوحاته إلى مشارق الأرض.

قال أحد معاصريه:

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال

- ***ولا ننسى أن نتكلم عن قتيبة بن مسلم الذي فتح الحصون***، ووصلت فتوحاته إلى الصين، وإلى الجمهوريات المشهورة الآن في روسيا، قاد الجيوش وعمره دون الثلاثين.

- ***وها هو محمد الفاتح القائد العظيم والذي فتح القسطنطينية*** وهو في الخامسة والعشرين من عمره بعدما استعصت على المسلمين طيلة ثماني مائة سنة (٨٠٠ سنة) ونال بذلك بركة دعوة النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث بشر الغنوي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".

فعلى الشباب أن يعتز بهويته وانتمائه إلى دينه وتراث أمته، ويفتخر ويقتدي بأبطال الإسلام وأعلامه العظام على مر السنين والأعوام.

فيا شباب الإسلام... يا أملاً يداعب فجرنا الزاهر... ويا صوتا يشيع الرعب في قلب العدو الغادر... ويا درعاً يصون الدين ويحمي عرضنا الطاهر... عودوا إلى ربكم؛ لتعود لنا السيادة والقيادة.

فالشباب أمل المستقبل ورجال الغد

ففي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

[التوبة:٣٣]

- ***قال الشافعي ﷺ كما في "أحكام القرآن" (٢/٥٠):***

"لَيُظْهِرن الله تعالى دينه على الأديان حتى لا يدانَ اللهُ إلا به، وذلك متى شاء الله تعالى". اهـ

والقول بأن هذا الظهور المذكور في الآية قد تحقّق في زمن النبي ﷺ، أو الخلفاء الراشدين ﷺ، أو بعض خلفاء بني أُمَيَّة، أو بني العباس... أو غيرهم قول بعيد، فما تحقّق إنما هو جزء منه فقط- كما هو معروف من التاريخ – وسوف يتحقق كاملاً في المستقبل إن شاء الله.

- ***ومما يؤيد ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **"إن الله زَوَى لي الأرضَ[1]، فرأيت مشارِقَها ومغاربها، وإن أُمَّتي سيبلُغُ ملكها ما زُوِيَ لي منها..."**

ومعلوم أن الإسلام لم يُغَطِّ الكرة الأرضية بهذا الوصف الموجود في الحديث الشريف، وسيغطيها كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ حين يشاء الله تعالى.

- ***وأخرج الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

"ليبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت مَدَر[2] ولا وبر[3] إلا أدخلَهُ الله هذا الدين بعزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليل، عزا يعزُّ الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر"

(صحَّحه الألباني في تحقيق المشكاة)

وهذا الحديث يؤكد الحديث السابق ويوضحه، ***ويفيد قوله ﷺ:*** **"ما بلغ الليل والنهار"** أن الإسلام سينتشر، ويُمكَّن له في جميع الكرة الأرضية؛ لأن الليل والنهار يبلغان جميعها، وهو لم يتحقق حتى الآن، وسيتحقَّق في المستقبل إن شاء الله على يد الشباب.

- وممَّا يدل على أن العاقبة ستكون للأمة المحمدية على يد شبابها إن شاء الله

ما أخرجه الإمام أحمد والدارمي عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال:

"بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئِل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً؟ أقسطنطينية أو رُوميَّة؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينةُ هِرقْل تفتح أولاً، يعني القسطنطينية"

وتمت البشارة الأولي في عهد محمد الفاتح ﷺ وكان عمره خمس وعشرون عاماً، وها نحن ننتظر البشارة الثانية إن شاء الله.

فالمستقبل لهذا الدين بإذن رب العالمين على يد شباب المسلمين

---

(١) زَوَى لي الأرضَ: أي قبضها وجمعها. (قاله الخطابي)

(٢) المدر: القرى والأمصار.

(٣) الوبر: صوف الإبل والأرنب... ونحوها، يعني أهل البادية، لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر.

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٣- لأن الشباب هم الذين يرفعون راية هذا الدين، ويعملون على نشره والدعوة إليه

والقرآن الكريم حدَّثنا عن نماذج من الشباب والفتيان والذين جاهدوا لنشر دين الله تعالى

– ***فها هو إبراهيم – عليه الصلاة والسلام–*** حينما حطَّم الأصنام ثم علَّق الفأس في عنق كبيرهم، **ولما رجع قومه ورأوا هذا قالوا:** ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ **[الأنبياء:٦٠]**

– ***وها هو إسماعيل*** يعمل مع والده على بناء بيت الله الحرام، وهو شاب صغير.

– ***وحدَّثنا القرآن الكريم عن أتباع موسى*** عليه السلام، **فقال تعالى:** ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾ **[يونس:٨٣]**

قال ابن كثير رحمه الله: "وهؤلاء هم الشباب؛ لأن سنة الله في الدعوة بَدْأً من نوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنما الذين يحملون همها هم الشباب.

– ***وحدثنا القرآن الكريم عن أهل الكهف فقال تعالى:*** ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ **[الكهف:١٣]**

وما قصة أصحاب الأخدود عنا بعيد، فبطلها غلام صغير.

فما ظهر الدين وما عرف الناس شرائع المرسلين إلا بفضل الله تعالى ثم الشباب المصلحين، والتاريخ خير شاهد على هذا.

والتاريخ حدثنا عن أصحاب الرسول ﷺ، والذين رفعوا رايته ونصروا سنته، فدين الإسلام قام على سواعد الشباب.

– فالذين بايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية هم الشباب، ***وهذا ما قاله العباس عم النبي ﷺ لما ذهب للقائهم، فقال:*** "يا محمد، هؤلاء الأحداث لا نعرفهم".

– ***وأبو بكر*** رضي الله عنه ***خليفة رسول الله*** ﷺ – والمُبشَّر بالجَنَّة – أسلم في السابعة والثلاثين من عمره

– ***وأبو عبيدة بن الجراح*** رضي الله عنه – أمين هذه الأمة – أسلم في الثانية والثلاثين من عمره

– ***وعبد الرحمن بن عوف*** رضي الله عنه – من المبشرين بالجنة – أسلم في الثلاثين من عمره

– ***وزيد بن حارثة*** رضي الله عنه أسلم في الثلاثين من عمره، وكلهم لم يصلوا إلى سن الكهولة، بل هم في سن الشباب.

- ***وعُمر*** ﷺ أسلم في السادسة والعشرين من عمره.

- ***وعثمان*** ﷺ أسلم في سن العشرين من عمره.

- ***وصهيب*** ﷺ أسلم في سن التاسعة عشرة من عمره.

- ***وطلحة بن عبيد الله*** ﷺ أسلم وعمره سبع عشرة سنة، وقد سمَّاه النبي ﷺ: "طلحة الخير".

- ***والزبير بن العوام*** ﷺ ابن عم النبي ﷺ أسلم وعمره ستة عشر عاماً، ***وقال النبي*** ﷺ: **"إن لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير"**، ***والحسن والحسين*** ﷺ سيدا شباب أهل الجنة.

- ***والأرقم*** ﷺ أسلم وعمره أحد عشر عاماً. فهؤلاء الذين قامت على أكتافهم دعوة الإسلام.

وعندما نتكلم عن الشباب الذين حملوا همَّ هذا الدين وعملوا على نشره والدعوة إليه

لا ننسى مصعب بن عمير ﷺ، فلقد كان مصعب قبل إسلامه أنعم فتيان مكة، فلم يكن هناك مَن يلبس مثل ثيابه، ولا يضع مثل عطره، حتى إنه كان إذا مرَّ من طريق وجاء بعده أناس، قالوا: "لقد مرَّ مصعب بن عمير من هاهنا – ممَّا يجدون من عطره الجميل".

ولمَّا شرح الله صدره للإسلام، كتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، ولما كشفوا أمره حبسوه في البيت، ولكن مصعب استطاع بفضل الله أن يهرب من هذا الحبس، وخرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا، فلم يلبث إلا قليلاً حتى هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة فاراً بدينه وإيمانه.

– ولما رجع اختاره النبي ﷺ ليكون سفير الدعوة الأولى، حيث أرسله إلى المدينة المنورة مع مَن بايعوا النبي بيعة العقبة الثانية ليعلمهم دينهم، وظل مصعب بن عمير يدعو إلى الله، وأسلم على يده خلق كثير، منهم عمرو بن الجموح، وسادات الأنصار كأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وبإسلامهم أسلم قومهم، حتى دخل الإسلام أكثر دور الأنصار بفضل الله تعالى، وبجهد هذا الشاب الداعية المخلص وأول سفير في الإسلام.

وأنت أيها الشاب كم رجل هُدِيَ على يديك؟!

- ***ومن الشباب الذين حملوا همَّ هذا الدين علّي*** ﷺ

ففي قصة هجرة النبي ﷺ نام ﷺ مكان النبي وكان عمره أربعة عشر عاماً، وهو يعلم أنه مقصود ومقتول، ولكن النفوس تهون، وينجو النبي ﷺ، ولا ننسى في قصة الهجرة أسماء ﷺ التي كانت تصنع الطعام، وأخوها عبد الله بن أبي بكر الذي كان ينقل الأخبار ويأتي بالطعام، وعامر بن أبي فهيرة مولى أبي بكر كان يأتي بالشياه فيعفي على آثار عبد الله بن أبي بكر، ويحلب للنبي ﷺ وأبي بكر، فرضي الله عنهم جميعاً.

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٤- لأن الشباب هم الذين يحملون أمانة العلم على عاتقهم، ويعملون على نشره والدعوة إليه

فالذين حملوا هذا العلم ونشروه، ودوَّنوا الكتب، وحفظوا حديث رسول الله ﷺ أكثرهم من الشباب

- ***يقول ابن عباس*** رضي الله عنهما: **"ما أتى الله ﷻ عبداً علماً إلا شاباً، والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء:٦٠]، *وقوله:* ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم:١٢]"**

وابن عباس رضي الله عنهما وكان عمره عند موت النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً، وقد جمع العلم الكثير، وكان ترجمان القرآن، يقول عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس"، وكان أصحابه يسمونه الحَبْر.

وكان رضي الله عنه ***يطلب حديث رسول الله*** ﷺ ***فيقول:*** **"إن كان ليبلغني الحديث عن رجل، فآتي بابه وهو قائل** [١] **فأتوسد ردائي على بابه، يسفى الريح عليّ من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله الحديث"**

فكان علماً في التفسير، والقرآن وعلومه، والحديث، والشعر، واللغة، وقد جمع العلم الكثير وذلك ببركة دعوة النبي ﷺ.

- ***وها هو معاذ بن جبل*** رضي الله عنه الذي أسلم وله ثماني عشرة سنة، وقد شهد له النبي ﷺ بأنه يأتي يوم القيامة يتقدم العلماء برَتْوة [٢]، مات وهو ابن ثلاث وثلاثين، وقيل: "مات وهو ابن ثمان وعشرين سنة، وهذا ما رجحه الإمام مالك ووافقه الذهبي وهو الأشهر، فمدة تحصيله للعلم لا تبلغ عشر سنوات، ومع هذا فهو إمام العلماء.

وقد قال عنه النبي ﷺ ***كما في "مستدرك الحاكم":*** **"أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل..."**

- ***وفي رواية عند أبي نعيم في "الحلية" عن أبي سعيد الخدري*** رضي الله عنه ***قال: قال رسول*** ﷺ**:**

"معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه" **(صحيح الجامع:٥٨٧٩)**

وكان قد جمع القرآن كله في عهد النبي ﷺ كما قال عنه أنس بن مالك رضي الله عنه، والحديث عند البخاري

---

(١) **قائل:** نوم القيلولة.

(٢) **رَتْوة:** رمية حجر.

- ***وكان عُمَر بن سلمة*** حافظاً للقرآن، وكان يصلي بالمسلمين وعمره ست أو سبع سنوات.

شباب ذللوا سبل المعـالي	وما عرفوا سوى الإسلام دينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة	يدكون المـعـاقل والحصونا
وإن جنَّ الظلام فلا تراهم	من الإشقاق إلا ساجدينـا

- ***وها هو أنس بن مالك ﷺ خادم النبي ﷺ والذي حمل عنه العلم الكثير، يقول كما في "صحيح مسلم":*** **"قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين"**

- ***وها هو زيد بن ثابت "كاتب الوحي وجامع القرآن"***

أسلم زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة، وفي غزوة بدر ردَّه النبي ﷺ لصغر سنه، وكان زيد حافظاً للقرآن، فقيل للنبي ﷺ: **"قد قرأ مما أُنْزِل عليك سبع عشرة سورة، قال زيد: فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك، وقال: يا زيد، تعلَّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمنهم على كتابي، قال زيد ﷺ: فتعلَّمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته[1] وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم"**

(أخرجه البخاري في التاريخ الكبير)

- وبعد فترة يسيرة رأى النبي ﷺ من زيد بن ثابت الخير الكثير من دقته وإتقانه في الحفظ، والكتابة، وأمانته في النقل، وفهمه للنصوص، فكلَّفه بأعظم مهمة ألا وهي كتابة الوحي الذي يتنزل على رسول الله ﷺ، وهذه ثقة عظيمة وشرف كبير لزيد.

وكان لزيد ﷺ موقف عظيم يشهد له التاريخ:

فبعد موت النبي ﷺ اجتمع المهاجرون والأنصار في السقيفة، **"فقام خطباء الأنصار، فتكلَّموا وقالوا: "رجلٌ منَّا ورجلٌ منكم، فقام زيد بن ثابت، فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ونحن أنصاره، وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره، فقال أبو بكر ﷺ : جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، لو قلتم غير هذا ما صالحناكم"**

(رواه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد ﷺ)

وبهذا الموقف لزيد بن ثابت وُئدت الفتنة في مهدها

(١) حذقته: أتقنته.

– وفي أثناء حروب الرِّدَّة قتل عدد كبير من حفظة القرآن، ***فقال أبو بكر*** ﷺ ***لزيد:***

"إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتَبَّع القرآن فجمعه"

فجمعه زيد، وكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفَّاه الله، ثم عند عُمر حياته، ثم عند حفصة بنت عُمر ﷺ.

– ولما حدثت الفتنة بين الناس بسبب اختلافهم في القراءة، أمر عثمان ﷺ زيد بن ثابت أن يكتب القرآن وينسخه بما يوافق لسان قريش، ففعل، فأرسل عثمان ﷺ إلى كل أفقٍ بمصحف ممَّا نُسِخ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"، والحديث أصله عند البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ.

– ***وكان زيد أعلم الصحابة بالفرائض، وقد قال عنه النبي*** ﷺ: **"أفرضُ أمتي زيد بن ثابت"**

أي أعلمهم بعلم المواريث.

وكان الشعبي ﷺ ***يقول:*** "القضاة أربعة: "عمر وعلي وزيد وابن مسعود" **(تهذيب ابن عساكر:٥/٤٥٠)**

ويقول مسروق: "كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ: "عمر وعلي وابن مسعود وزيد وأبي وأبو موسى" **(تهذيب ابن عساكر:٥/٤٤٩)**

– وكان صحابة النبي ﷺ يحملون له كل محبة وتقدير وإجلال لمكانته العظيمة في العلم

فها هو ابن عباس ﷺ **أخذ بركاب ناقة زيد بن ثابت، فقال زيد:" تنحَّ يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس ﷺ إنا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا "** **(ابن سعد وصححه الحاكم)**

ولما مات قال أبو هريرة عنه: "مات حَبْر هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً"

وعندما نتكلم عن الشباب من حملة العلم لا ننسى أن نتكلم عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن

وهو ربيعة بن فروخ المشهور بربيعة الرأي صار محدث المدينة وفقيهها وإمامها رغم حداثة سنه، وكان مجلسه يضم مالك، وأبا حنيفة النعمان، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد.

– ***وهذا الإمام مالك "إمام دار الهجرة"، يقول:*** "ألبستني أمي ثياباً جداداً، وعمَّمتني بعمامة بيضاء، وجعلت في كُمِّي صرة من ذهب، وقالت: "اذهب إلى المسجد، ولا ترجع إليّ حتى تكون شيخ الحلقة، وقد كان"

- ***أما الشافعي وهو محمد بن إدريس*** ﷺ، فإنه ولد بغزة في السنة التي مات فيها أبو حنيفة، سنة خمسين ومائة (١٥٠هـ)، ثم ذهبت أمه به وهو صغير إلى اليمن، ثم رجعت به إلى مكة، فكان يذهب إلى الحرم فيكتب الدروس حتى امتلأ عليه بيته ممَّا كتب، فأغلق بابه وعزم ألا يخرج حتى يحفظ ما كتب فحفظه جميعاً، ثم أرسلته أمه وهو طفل دون العاشرة إلى بني هذيل ليحفظ شعرهم، فحفظ عشرين ألف بيتٍ، ثم رجع إلى مكة وحفظ "الموطأ" قبل بلوغه، وقرأه على الإمام مالك في أربعين مجلساً، ومات سنة مائتين وأربع من الهجرة، فمات وعمره أربع وخمسين سنة، ملأ خلالها الدنيا علماً وورعاً.

- ***أما الإمام أحمد*** ﷺ كان قد برع في طلب الحديث وعمره ست عشرة سنة، نشأ يتيماً وعنيت به أمه، واشتهر علمه في الآفاق، وقيل إنه طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة.

- ***ومن علماء هذه الأمة الإمام البخاري،*** قرأ كتب الحديث المشهورة، ككتاب ابن المبارك ووكيع، وهو ابن ست عشرة سنة، وصنَّف في قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنف كتاب "التاريخ الكبير" وهو ابن ثماني عشرة سنة.

وكان البخاري يقول عن نفسه: "ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب، وكان سنِّي عشرين أو أقل"

وكان يقول أيضاً: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح (بالإسناد)، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح"

وكان نعيم بن حماد يقول عن البخاري: "محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة"

ولو تتبَّعنا علماء وحُفَّاظ هذه الأمة الذين رفعوا راية العلم خفَّاقة وخدموا هذا الدين لاستغرقنا وقتاً طويلاً.

- ***وصدق القائل حيث قال:***

بقدر الجد تكتسب المعالي ومَن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي

ونحن نريد من شبابنا أن يقتدوا بهذا الجيل الفريد الذي نشر هذا العلم وخدموا هذا الدين، وكانوا نجوماً مضيئة في دياجير الظلام، لكن للأسف شبابنا اليوم قدوته أهل الفن والغناء والتمثيل ولاعبي الكرة.

فيجب أن يتربَّى الشباب تربية دينية صحيحة، يتعوَّد فيها على الاستقامة والاعتدال، ويجب تحصينهم بالعلم، وبث روح الوعي، والتَّصدي لكل مَن يبث مكر للنيل من شباب الإسلام.

أخي الشاب... أُمَّتك في انتظارك، حتى تقيل عثرتها وتعيد أمجادها، فلا تتأخر.

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٥- حتى تعود لنا الريادة والقيادة

الأمة قديماً كانت لها السيادة والقيادة بفضل الله تعالى ثم بشبابها الذين أعلوا من قدرِها، ورفعوا من شأنها في كل مجال من مجالات الحياة – كما مرَّ بنا – فهُم الذين رفعوا راية الجهاد والعلم والدعوة إلى الله، وبلغت دعوتهم مشارق الأرض ومغاربها، ففتحوا البلاد، ودان لهم العباد.

أما ما تعيشه الأُمَّة الآن من ذل وهوان، وواقع مبكٍ، وحال مرٍّ، لا يُرضِي أي حُر، والسبب هو: تأخُّر الشباب عن التوبة والرجوع إلى الله، وعدم مناصرة الحق، والتكاسل عن بذل الجهد لخدمة هذا الدين، ***وصدق النبي الأمين ﷺ حيث قال:*** **"وجعلت الذلة والصغار على مَن خالف أمري"**

(رواه الإمام أحمد)

وانظر الآن إلى كم المخالفات التي يقع فيها الشباب

– وقال الحسن البصري ﷺ في شأن العصاة المخالفين لأمر الله:

"لو طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية سيدركهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه"

– وفي كتاب "الزهد" للإمام أحمد:

"أن رجلاً جاء للحسن البصري، فقال له: "إني أريد سفراً فزوِّدني، فقال له الحسن: ابن أخي، أعز أمرَ الله حيث كنت يعزك الله، قال الرجل: فحفظت وصيته، فما كان بها أحد أعز منى حيث رجعت"

وانظر إلى الصحابة، لما خالفوا أمراً واحداً من أوامر النبي يوم أُحُد، كانت الهزيمة والانكسار

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٥٥]

- ***يقول السعدي*** ﷺ ***في تفسير هذه الآية:*** "يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أُحُد، وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلَّط عليهم ببعض ذنوبهم". اهـ

فعلى الشباب أن يُعظّموا أمر الله وأمر رسوله؛ حتى تعود لنا السيادة والقيادة

وصدق الله حيث قال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧]

- ***يقول السعدي*** ﷺ ***في تفسير هذه الآية:*** "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم: أي يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، إن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر والثبات". اهـ

فيا شباب... كيف تعود لنا السيادة والقيادة والتمكين وقد خالفنا أمر رب العالمين، وخذلنا رسوله ﷺ، وضيعنا دينه؟!

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٦- لأن كثير من الشباب قد انسلخ من هويته الإسلامية، وراح يقلد ويتابع شر البرية

وهذا ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال:

"لَتتَّبِعُنّ سنن مَن كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمَن!(أي مَن غيرهم)" (أخرجه البخاري)

فأصبح شبابنا كشبابهم، ونسائنا كنسائهم

فكلُّ ما نراه الآن من تخلُّف مهين، وضعف مقيت بسبب بعدنا عن ديننا وهويتنا الإسلامية

إن تاريخ الأُمَّة يثبت أن عزَّة هذه الأُمَّة، وعلوها ورفعة شأنها، يكون مع تمسُّكها بإسلامها، واتِّباعها لهدي نبيها ﷺ.

- وصدق الفاروق عمر رضي الله عنه حيث قال:

"كُنَّا أذلَّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ في غيره أذلَّنا الله"

- وفي حديث القنوت الذي علَّمه النبي ﷺ للحسن، وفيه:

"إنه لا يذلُّ مَن واليت، ولا يعز مَن عاديت، تباركت ربنا وتعاليت" (أخرجه الترمذي)

فالسيادة والقيادة لا تعود إلينا إلا بعد الرجوع إلى ربنا والصلح معه.

فنريد من شبابنا أن يتجهوا صوب المعالي، وأن يسلكوا سبل الرشاد، وأن يديروا ظهورهم لهذا السيل الغازي من الأفكار الوافدة التي تتعارض مع ديننا وقيمنا وأخلاقنا.

- إننا اليوم في حاجة شديدة إلى الشباب المؤمن، الذي يشعر بواجبه تجاه دينه وأمته، شباب يعلم ما عليه من واجبات، وما له من حقوق.

نريد شبابنا يعتز بدينه وينصح لأمته:

شباب الجيل للإسلام عودوا ... فأنتم روحه وبكم يسودُ

وأنتم سِرُّ نهضته قديماً ... وأنتم فجْرُه الزاهي الجديد

فعد أيها الشاب إلى هويتك ودينك؛ حتى نصنع معاً فجراً جديداً، ونعيد معاً لأُمَّتنا مجداً تليداً.

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٧- لأن فترة الشباب هي فترة العمل

مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والعطاء، فالشباب قوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، **كما أشار إلى ذلك قوله تعالى:** ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]

- ***وكانت صفية بنت سيرين ﷺ تقول مخاطبة الشباب:***

"يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فوالله ما رأيت العمل إلا في الشباب"

فمرحلة الشباب فرصة عظيمة لا تُعوَّض، يجب اغتنامها في ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، وهذا ما كان يوصي به النبي ﷺ

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **"اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"** (صحيح الجامع:١٠٧٧)

- ***وصدق القائل:***

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم يُدنِي من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإن الربح والخسران في العمل

- ***ولما حضر معاوية الوفاة قال:*** "اقعدوني، فأقعدوه، فجعل يذكر الله تعالى ويُسبِّحه ويُقدِّسه، ثم قال مخاصماً نفسه: الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهدام، ألا كان ذلك وغصن الشباب نضير ريَّان، وبكى حتى علا بكاؤه، ***ثم قال:***

هو الموت لا منجي من الموت والذي ... نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

- ***وكان الماوردي ﷺ يقول:***

أقبل على صلواتك الخمس	**كم مصبح وعساه لا يمسي**
واستقبل اليوم الجديد بتوبة	**تمحو ذنوب صحيفة الأمس**
فليفعلن بوجهك الغض البِلى	**فعل الظلام بصورة الشمس**

فكما تشرق الشمس صافية مشرقة، ينتابها الظلامُ فتغرب ليس فيها أشعة، فكذلك حال الوجه في بداية نضارته وشبابه، ثم يتغيَّر بالهرم ويذهب نضارته.

- فمَن علم أن فترة الشباب ضيف لا يعود، وفرصة لا تعوَّض؛ عمد إلى تعميرها بطاعة الله، ومَن فرَّط وقصَّر؛ ذهب الشباب محسوباً عليه، وندم حيث لا ينفع الندم.

فيا شباب الأمة... إن لم تتغلبوا اليوم على أنفسكم، وتجاهدوا شهواتكم ورغباتكم، وتبذلوا اليوم زهرة أعماركم من أجل دينكم وأوطانكم... فمتى؟!

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٨- لأن أكثر الشباب لا يشعر بقيمة الوقت

والفراغ نعمة من الله تعالى إذا استغلها الإنسان في طاعة الرحمن، فليس في الوجود أغلى من الوقت، وبه يشتري الإنسان جنَّة نعيمها مقيم، وليس في الحياة نعمة بعد الإيمان أعظم من نعمة الصحة والفراغ

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"

- ***يقول ابن الجوزي ﷺ كما في "فتح الباري"(١١/٢٣٤):***

"قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون مُتفرِّغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعت (أي الصحة والفراغ) فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمَن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومَن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم".

- ***ويقول ابن رجب ﷺ:*** "أيام العافية غنيمة باردة، وأوقات السلامة لا تشبهها فائدة، فتناول ما دامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة"

- وكان السلف الصالح أحرص ما يكونون على الوقت

- ***فها هو أبو مسلم الخولاني يقول:***

"لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد" (صفة الصفوة)

- ***وقال رجل لعامر بن قيس:*** "قف أكلمك، قال: فامسك الشمس"

- ***وكان داود الطائي يستف الفتيت ويقول:*** "بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية"

- ***وقال أبو بكر بن عياش:*** "ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة"

- ***وكان عمير بن هانئ يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة. والنبي ﷺ يقول:***

"مَن قال سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرست له نخلة في الجنة" (رواه الترمذي من حديث جابر)

فكم ضيَّعنا من نخيل؟؟

- ***وها هو أبو البركات جد شيخ الإسلام ابن تيمية:***

"إذا أراد أن يدخل الحمام للاغتسال؛ يأتي بابنه ويقول: "يا بني اجلس عند باب الحمام واقرأ وارفع صوتك" (حتى يحفظ وهو داخل الحمام)

- ***وصدق القائل حيث قال:***

إذا مر بي يوم ولم اقتبس هدى ولم استفد علماً فما ذاك من عمري

- أما شباب اليوم فقد ماتت فيه الهمم، وخارت العزائم، وأصبح هناك دعة وراحة وتكاسل، تمر الساعات والأيام ولا يحسب لها حساب

ينادى أحدهم على صاحبه قائلاً: "تعال لنضيع الوقت"

فتضييع الأوقات بمشاهدة المباريات، أو الجلوس في الطرقات، أو المحادثة على الشات، وتضيع الساعات على النت أو الفضائيات، وهذا كله دليل على مقت الله للعبد، ***كما قيل: "من علامة المقت إضاعة الوقت"***

فالمؤمن ليس عنده وقت فراغ، **قال تعالى لنبيه ﷺ:** ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح:٨]

فَإِذَا فَرَغْتَ من شغلك ومن الناس ومن شواغل الحياة، فتوجه إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة.

- ***يقول الشافعي رحمه الله:*** "صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين، سمعتهم يقولون: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك"، "ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل"

- ***قال ابن القيم كما في "مدارج السالكين" مُعلقاً على كلام الشافعي:***

"يا لها من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما، وأدلهما على علو همة قائلها ويقظته".اهـ

فمن جهل الشباب بقيمة الوقت يفرحون بمغيب شمس كل يومٍ، وهم لا يدركون أن هذا نهاية يوم من أعمارهم لن يعود أبداً إليهم، صحائف طويت، وأعمال أحصيت، وأنفاس انقضت

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

٩- لأن مرحلة الشباب أعظم مرحلة سيسأل عنها الإنسان

فمرحلة الشباب قطعة من العمر، وهي أهم مرحلة سيسأل عنها الإنسان

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه – *وفي رواية:* "وماذا عَمِلَ فيم عَلِمَ"

– ولعل قائل يقول: "لماذا ذكر النبي ﷺ الشباب بعد العمر؟ والشباب قطعة من العمر؟

والجواب: أن هذا من باب ذكر الخاص بعد العام لبيان أهمية الخاص، أي أننا سنسأل عن العمر، وأهم مرحلة من العمر ستسأل عنها هي مرحلة الشباب.

فاعلم أيها الشاب أنك ستسأل عن شبابك ماذا فعلت فيه؟ فأعد للسؤال جواباً، وللجواب صواباً

فإذا علمت هذا فعليك أيها الشباب أن تعمره من الآن بطاعة الرحمن

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

١٠- حتى لا يغتر الشباب بشبابهم؛ فيطيلوا الأمل ويسيئوا العمل

الناظر في أحوال الشباب اليوم يرى العجب العجاب، حيث انشغل الكثير منهم بالشهوات، وارتكبوا المنكرات، وأعرضوا عن عبادة رب الأرض والسموات، والسبب في هذا طول الأمل، وهذا أمر قد شوهد بالعيان، ولا يحتاج إلى بيان.

– وصدق الحسن البصري ﷺ حيث قال:

"ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل" **(الزهد للحسن البصري: ص٨٢)**

وصدق الحسن البصري.. فطول الأمل سبب لقلة الطاعة، والتكاسل عن العبادة، وقسوة القلب، وتأخير التوبة، واتباع الهوى، وكثرة المعصية، والحرص على الدنيا، والغفلة عن الموت، وما بعده من شدائد وأهوال، وربما الموت على المعصية، وهذا هو عين الشقاء.

– يقول الفضيل بن عياض ﷺ:

"إن من الشقاء طول الأمل، وإن من النعيم قصر الأمل"

وقصر الأمل هو الاستعداد للرحيل في أي وقت وحين، فلا ترى صاحبه إلا متأهباً لعلمه بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب، فإنه يبعث على انتهاز فرصة الحياة التي تمر مرّ السحاب.

- فاحذروا يا شباب طول الأمل، فالموت يأتي بغتة

ففي "صحيح البخاري" من حديث أنس ﷺ قال:

"خطَّ رسول الله ﷺ خطا، وقال: هذا الإنسان، وخطَّ إلى جنبه خطا، وقال: هذا أجله، وخط خطاً آخر بعيداً عنه، فقال: وهذا الأمل، فبينما هو كذلك إذا جاءه الأقرب "

فكم من مستقبل يومٍ لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه

- وكان في مجلس ميمون بن مهران ﷺ شيوخ وشباب، فقال ﷺ:

"يا معشر الشيوخ، ما ينتظر بالزرع إذا ابيض؟ قالوا: الحصاد، فنظر إلى الشباب، فقال: يا معشر الشباب، إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد"

أيا ابن آدم لا تغررك عافية عليك ضافية فالعمر معدود

ما أنت إلا كزرع عند خضرته بكل شيء من الآفات مقصود

فإن سلمت من الآفات أجمعها فأنت عند كمال الأمر محصود

فيا أيها الشاب... لا تغرك الصحة والقوة والشباب، فتسير في ركب الحياة لاهياً ساهياً، وتنسى فجأة الموت، فكم من صحيح سليم معافى سمعنا نعيه، وكم من مريض سقيم طال أجله، وكم في القبور من الشباب والأطفال والرضع.

- كتب حكيم إلى أخيه فقال:

"اعلم أن الموت في الشباب كثير، وآية ذلك أن الشيوخ قليل"

فإياكم يا شباب والتسويف وطول الأمل... والقعود عن العمل، فهذا مآله الخسران والبوار

وقد قال الحبيب المختار ﷺ: **"أخسر الناس صفقة: رجل أخلق يديه في آماله، ولم تساعده الأيام على تحقيق أمنيته، فخرج من الدنيا بغير زاد، وقدم على الله بغير حجة"**

(أخرجه ابن النجار)

فعلى الشباب أن يستدركوا ما مضى وفات، ويعدوا عملاً صالحاً لما بعد الممات

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]

– ***قال ابن كثير*** ﷺ ***في "تفسيره":*** "كل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيرا، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات.. كان ما كان، وأتى ما هو آت". اهـ

فاعلم أخي الشاب...

أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة

والليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر، فكم ممن راح في طلب الدنيا أو غدا، أصبح من سكان القبور غداً

وصدق القائل حيث قال:

تزوَّد من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زيَّنوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة العرس
وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

- **وقد كثر موت الفجأة، وهو علامة من علامات الساعة**

فقد أخرج الطبراني عن أنس ﷺ ***عن النبي*** ﷺ ***قال:***

"إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة"

وقد كثر موت الفجأة في الشباب، وأود أن أذكر بأن مَن عاش على شيء مات عليه، ومَن مات على شيء بُعث عليه .

- **وأختم بسؤال أتوجه به إلى كل شاب بعيد عن طاعة الله ﷻ:**

ماذا تريد...؟؟ زنا، فجور، خمور، مخدرات، سيارات، دولارات، عمارات، لكن ماذا بعد؟ فلا خير في لذة من بعدها النار، فكل هذا لا يساوي غمسة في جهنم

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب، ما رأيت خيرا قط، ولا مرَّ بي نعيم قط"

أخي الحبيب... لا بد أن تعلم الغاية التي جئت من أجلها إلى الدنيا وهي طاعة الله ﷻ

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ **[الذاريات:٥٦]**

لم نُخْلق للعبث واللعب واللهو

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ **[المؤمنون:١١٥]**

وأخرج الخرائطي في "مساوي الأخلاق" وابن جرير بسند صحيح:

"أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: هيا بنا نلعب، فقال يحيى عليه السلام: ما للعب خُلِقت، فذاك قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ **[مريم:١٢]**

وحدث هذا أيضاً مع الإمام النووي، فقد كان الأطفال يضربونه ليلعب معهم وهو يبكي ويقول: "ما للعب خُلِقنا"

فهيا أخي الحبيب... تب إلى الله تعالى، **فهو القائل:** ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ **[الزمر:٥٣]**

وهو القائل سبحانه في الحديث القدسي:

"يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو آتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"

(رواه الترمذي من حديث أنس ﷺ)

وأُبَشِّرُك أيها الشاب، يا مَن تبت ورجعت إلى الله تعالى، بأنك ستكون في أرض المحشر من جملة مَن يُظلُّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"سبعة يُظِلُّهُم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"

فالناس جميعاً يقفون في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، والشمس فوق الرءوس بقدر ميل أو ميلين، وكل في عرقه بحسب عمله، ويقفون خمسين ألف سنة "**يا له من مشهد مهيب!**" وفي هذا الموقف يقف الشاب الذي نشأ في طاعة الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه.

– أضف لهذا أنه سيأخذ كتابه بيمينه، ويثقل ميزانه، ويشرب في أرض المحشر من يد الحبيب النبي ﷺ ويمر على الصراط – وهو أحدُّ من السيف وأدق من الشعر– ويصل إلى جنَّةٍ عرضها السموات والأرض، ***فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:***

"كلُّ أمتي يدخلون الجنَّة إلا مَن أبى، قيل: ومَن يأبى يا رسول الله؟، قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى"

– ***وصدق القائل:***

ومَن يجعل الإيمان رائده يفز بكرامة الدنيا وعقبى الدار

بل أُبَشِّرُك أيها الشاب الطائع أنك ستكون في الجنة في أعلى عليين، مع سيد المرسلين والأنبياء أجمعين، **قال تعالى:** ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]

فاللهم اجمعنا بالنبيين والصديقين والشهداء الصالحين يا رب العالمين في جنات النعيم، ومَتِّعنا اللهم بلذة النظر إلى وجهك الكريم.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمِن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك